

مولاي علي الشريف وجهوده التأسيسية 847.762هـ/1360-1443م (الجزء الأول)

أ.د. مولاي هاشم بن المهدي العلوي القاسمي
جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس.

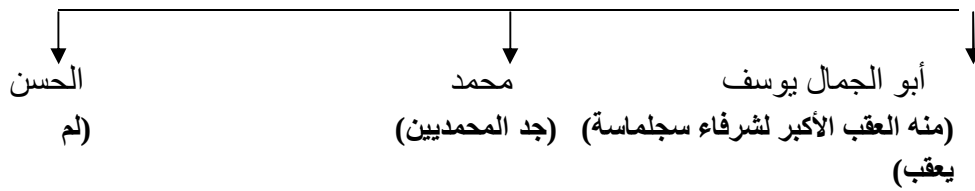
- توطئة

نعالج في هذا البحث الذي خصصناه لتاريخ حياة مولاي علي الشريف، قضايا تاريخية من الأهمية بمكان ارتبطت بالأوضاع التي عرفها المغرب على امتداد ترابه الوطني وامتداده التاريخي خلال حياة مولاي علي الشريف، فشكّلت الحياة السياسية للمجتمع المغربي وتنظيماته المدنية والعسكرية قبلية وسليبا وأسريا، ولهذا سنحاول أن نبقي مرتبطين بعصر مولاي علي الشريف ارتباطا لا يخرج من حياته الزمنية التي عاصرها طيلة خمس وثمانين سنة، قسم منها في القرن الثامن للهجرة ابتداء 762هـ/1360م، وقسم آخر يمتد في القرن التاسع الهجري إلى حوالي 847هـ/1443م، فهذا الامتداد عاصر أحداثا في تاريخ البلاد وارتبط بمتغيرات كبرى فعلت فعلها في تشكيل النظام السياسي وقيام مظاهر جديدة للحكم، فضلا عن تغيير وتبدل الأسر الكبرى، وهذه المظاهر هي نشأة الاستقلاليات المحلية بزعامات قبلية وأسرية على امتداد التراب المغربي شمالا وجنوبا-شرقا وغربا، وبرزت في ذلك ظاهرة تفسخ وضعف أوامر السلطان وسلطة الدولة، فتظهر الدولة بالاسم ولا تحكم بالفعل، فالأمر يرجع إلى الزعماء المحليين، وظهر خضم وزحم كبير في الحياة الداخلية، وكل حركة من حركات الزعماء المحليين في التراب الوطني تجعله يتطلع إلى تأسيس وتكوين إمارة أو استقلالية محلية. ولم تدون جميع تلك الحركات تدوينا علميا تاريخيا مفصلا، وإنما تظهر آثارها في ركاب الزعامات الكبرى التي تحاول جمع الشمل وضم الشتات، وهذا واقع يواكب ضعف الأنظمة الحاكمة في مغرب العصور الوسطى، الشيء الذي يجعلنا نقول إن المغرب يتهيأ لتحركات جديدة تفعل فعلها من أجل تكوين الدولة المغربية التي تعاصر القرن الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد.

في هذا الخضم والرحم نشأ الشريف الحسن السجلماسي مولاي علي الشريف الذي تشير كتب الأنساب والتراجم إلى أن حياته التي امتدت 85 سنة في كل من سجلماسة وفاس وشمال المغرب وكذلك في المغرب الصحراوي على امتداد طريق ركب الحاج السجلماسي، كانت مفصلة إلى ثلاثة أقسام: قسم للعبادة وتنظيم تربية الأتباع والمرافقين له. وقسم للحج وتنظيم طريقه ورياسة ركب حجاج سجلماسة. وقسم آخر كان يسافر فيه برسم الجهاد في كل من شمال المغرب والأندلس وفي الصحراء لتأمين طريق ركب الحجيج وما يرافق ذلك من نظام القوافل التجارية مع إفريقيا جنوب الصحراء¹.

وقبل أن نواصل جهود مولاي علي الشريف في حياته نضع الرسم النسبي له كما يلي في هذا المشجر:

مولاي علي الشريف
حوالي 762 إلى 847هـ



مشجر رقم 1: أبناء مولاي علي الشريف الأكبر (صاحب الضريع الأشهر بالريصاني)

وتأسيسا على ما سبق يتبين أن عصر مولاي علي الشريف عرف أحداثا جساما كبرى محلية وعامة في المغرب ودولية مرتبطة بالتاريخ العام للعلاقات بين حوض البحر المتوسط وإفريقيا جنوب الصحراء، ونتابع ذلك كما يلي:

-أولا: اندراس ونهاية مدينة سجلماسة:

عمرت سجلماسة في تاريخها الزمني من 140هـ إلى حوالي 796هـ، فقد شهد مولاي علي الشريف وهو في ريعان شبابه سجلماسة تتحول من مدينة أهلة معمورة بالسكان مسورة إلى مدينة مهجورة في أبسط الحالات، حيث هجرها سكانها بعد أن حاول بنو مرين تدمير أسوارها فيما بين 772هـ و783هـ وأكمل نهايتها كمدينة معمورة من هاجر إلى إقليم تافليلات وإقليم سجلماسة، فقد تأكلت عليها وتهيجت بها القبائل التي استهدفتها بالهجرة من قبائل صنهاجة

والتجمع العطوي الأول، بالإضافة إلى تكتل عرب المعقل من تجمع عرب المنبات وبعض عرب الشبانات ومن انضم وانضاف إلى حلفهم مثل بني حسان وذوي منصور، حيث تعرضت المدينة إلى هجومات هذه التجمعات القبلية في نهاية القرن الثامن للهجرة. ونتيجة لضعف السلطة المركزية بالمغرب الأقصى وتحكم القوى المحلية والقبلية في مجالاتها، صارت المناطق الجنوبية تعيش حالة اضطراب في أحوال القبائل البربرية الأمازيغية على امتداد الأقاليم الجبلية ومناطق المراعي في السهوب وكذلك حالة من التفسخ نتيجة تدخل العناصر العربية المعقلية في الشؤون السياسية. وكان لصراع أولاد حسين مع الأحلاف بالغ الأثر في إذكاء وضعية الفوضى التي عمت سجلماسة بعد موت السلطان أبي عنان. فمنذ سنة 762هـ/1360-1361م، تدخلت بطون ذوي منصور في الشؤون السياسية بشكل لم يسبق له مثيل، وانعكست خلافاتها على جهود أبناء أبي علي عمر في الاستقلال بمناطق سجلماسة².

وقال كودينيو Godinho بأن سجلماسة خربت سنة 763هـ/1363م من طرف الأحلاف وأولاد الحسين³. وعليه فإن الصراع فيما بين هؤلاء هو المسؤول عما عرفته المنطقة من تراجع. وقد استمرت سجلماسة قائمة بعد هذا التاريخ الذي أشار إليه كودينيو بدليل توفر عملات ذهبية ضربت بسجلماسة في عهد السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز (796-811هـ/1393-1408م)⁴. مثلت مرحلة حكم أبي العباس أحمد بعد بيعته الثانية بفاس (حكم مرتين 778-786/796هـ) مرحلة انفراج في صراع بطون ذوي منصور بسجلماسة. ويرجع السبب في ذلك إلى كون زعيم أولاد الحسين يوسف بن علي ابن غانم كان منشغلا بالوضع السياسي في العاصمة المرينية فاس. وكان يدعو إلى السلطان أبي العباس أحمد ويراسل سلاطين غرناطة في أمر إعادته إلى المغرب. وكان من نتائج ذلك ذهاب أغلب جموع أولاد الحسين من القادرين على حمل السلاح من مناطق تيزيمي وسجلماسة إلى المناطق المجاورة لفاس للمشاركة في حصار السلطان أبي العباس للمدينة. وكان لانسحاب يوسف بن علي ابن غانم عن مناطق سجلماسة أثره في استقرار أوضاع المنطقة، وهو ما سمح لعرب الأحلاف بالسيطرة عليها دون منازع، ولكن عودة أولاد حسين إلى تيزيمي بعد نجاح أبي العباس أحمد في دخول فاس كان يعني عودة أوضاع سجلماسة إلى سابق عهدها من الصراع والتنافس بين الطرفين. وكان من شأن مساعدة يوسف بن علي ابن غانم

للسلطان أبي العباس أحمد المريني بأن يمكن أولاد الحسين من الخطوة في منطقة سجلماصة، لكن هذه المدينة لم تكن خالية من نفوذ منافسيهم من عرب المنبات والعمارنة الذين استغلوا فترة غيابهم بفاس لفرض سيطرتهم عليها. ومن ثمة، فإن عودة أولاد الحسين إلى مناطق سجلماصة معناه اشتعال نار الفتنة من جديد بينهم وبين الأحلاف⁵.

وبناء عليه يسهل تفسير ما كتبه الحسن الوزان حول تخريب مدينة سجلماصة في حياة مولاي علي الشريف، حين قال بأن أهلها ثاروا في عهد أبي العباس وخربوا السور الخارجي للمدينة وقتلوا الوالي وتفرقوا في القصور الكبرى المحصنة سنة 796هـ/1393م⁶ ويستفاد من ذلك ثلاث قضايا: أولها ثورة الأهالي، وثانيهما قتل الوالي، وأخيرا التخلي عن سكنى الحاضرة واللجوء إلى سكنى المداشر والقصبات أي القصور بالمعنى الفيلاي.

وقد كان عرب المعقل من أولاد الحسين على علاقة طيبة بالسلطان أبي العباس أحمد المريني، وهو ما لم يرق أعداءهم عرب الأحلاف، وهكذا فإن قتل والي سجلماصة قد تم على يد الأحلاف انتقاما لأنفسهم من المرينيين وأولاد الحسين على حد سواء، ومعنى هذا أن المدينة عاشت مدة تحت وطأة الحصار قبل أن يخرب سورها من طرف عرب الأحلاف الذين أبعدوا عن المدينة بعم عودة أولاد الحسين من فاس⁷.

وارتباطا بذلك فإن مولاي علي الشريف قد عاصر هذه الأحداث، ويظهر أنه قد انتقل في غمرتها من تافيلالت إلى فاس، حيث أقام بعدوة القرويين وسكن الدار المعروفة بانتسابها إليه في محج "جزاء ابن عامر"⁸ قريبا من حي رشم العيون، ومازالت هذه الدار معروفة بـ"دار مولاي علي الشريف" وتعاقب على شرائها كثير من بيوتات أهل فاس، ومن بينهم "آل التازي سعود"⁹.

وإذا كانت المدينة المغربية قد عرفت ضعفا بينا في هذه الفترة بصفة عامة، فإن بعضها لم يستطع مقاومة ما أملته هذه المرحلة من مستجدات واختفت نهائيا من الخريطة الحضرية للمغرب الأقصى، ولم تكن سجلماصة هي الوحيدة التي لقيت هذا المصير، فمدينة تامدلت التي أسست سنة 212هـ/828م، منذ عهد الأدارسة، خربت في أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، بعد أن أثر تحرك قبائل ذوي حسان على استغلال مناجم الفضة بها، وأثر على نشاطها التجاري بسبب انعدام الأمن، كما عرفت مدينة عوام المصير نفسه¹⁰. ولعل هذا الوضع هو الذي جعل مولاي علي

الشريف يرتب حملاته لتمهيد وضبط طريق التجارة الصحراوية مع سبلماسة بالإضافة إلى تأمين طريق الحج وركب الحجيج العابرين لها.

ثانياً: بداية تحول طرق التجارة من الصحراء الإفريقية الكبرى إلى الملاحة التجارية البحرية على المحيط الأطلسي:

مع بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي حدث تحول كبير في تاريخ العلاقات التجارية الدولية ابتداءً من البحر الأبيض المتوسط شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، حيث ظهرت في هذا الفترة بالذات حركة دولية كبرى في تاريخ التجارة العالمية وتطورت معها الملاحة البخارية التي أدت إلى نقل مفهوم التجارة الملاحية والعالمية من طابعها الإقليمي المحلي إلى مفهومها الدولي العالمي، وبدأ طور جديد في التاريخ الاقتصادي والتجاري العالمي، مما أدى إلى بداية حركة الاستعمار الأوروبي في العالم آنذاك، فتغيرت الظاهرة المحلية الإقليمية التجارية إلى واقعها السياسي، وانتقلت حركة العلاقات الدولية من "محدودية الاتصال" إلى "قاعدة التواصل الدولي" فبدأت الانطلاقة لهذا المفهوم من جنوب غرب أوروبا حيث اجتمع في هذه الحركة أسطول الشمال الغربي للبحر الأبيض المتوسط المكون من البرتغال وإسبانيا ومنطقة المانش الإنجليزي- الفرنسي مع الأقاليم الإيطالية وأواسط أوروبا الغربية، فتكون أسطول التجارة العالمية من هذه القوى الغربية التي تتحرك لاكتشاف العالم وتطوير تجارتها وتوسيع مجال نفوذها، وبالتالي تكوين هيمنة تجارية جديدة في العالم تحولت بعد ذلك إلى قوة استعمارية ذات معاني كبرى وهي الاستعمار التجاري والاستعمار الاقتصادي والتحكم السياسي والعسكري.

ونحيل هنا على دراسة الباحث ف. هايد W.Heyd¹¹ الذي حلل ودرس تاريخ التجارة العالمية في العصور الوسطى مبرزاً ما قدمته حركة الكشف الجغرافية في بداية عصر النهضة.

دفع هذا الوضع الزعماء المحليين إلى البحث عن ظروف جديدة لإعادة تنشيط هذه التجارة من جديد وتقوية الروابط بين شمال الصحراء وجنوبها، فصارت "قضية مطلوبة" لدى الزعماء الناشئين في بلاد المغرب خلال القرن 9هـ/15م¹²، ومن بين هؤلاء ما تظهره وتتحدث عنه مصادرنا المغربية زعماء تافيللات ورجالها مثل مولاي علي الشريف الحسني (ت847هـ/1443م) الذي حاول إعادة ربط سبلماسة بالطريق التقليدية القديمة

تافيلالت- مالي وإحياء طريق الحج الصحراوي من سجماسة- توات- وركلة- أكدز ثم تنبكتو وكانم برنو وحوض النيل الأوسط إلى شواطئ البحر الأحمر. ورغم أن هذه المحاولة لم تبسطها المصادر القديمة عندنا، بل مرت عليها مرور الكرام وأشارت إليها كتب الأنساب¹³. وفصلتها تفصيلا مفيدا كتب الطبقات السودانية الإفريقية مثل ما ذكره ابن ود الله في تراجم أولياء بلاد السودان الشرقي¹⁴.

وقد تميزت مرحلة النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي التي برزت فيها ظواهر أخرى في المجتمع المغربي الجنوبي، حيث نلاحظ تحرك التجمعات القبلية التي طردتها الصحراء الإفريقية الكبرى، فانطلقت جموع اتخذت محاور متعددة في اتجاه الشمال محور الصحراء الكبرى في اتجاه سجماسة "وهي الطريق الوسطى" التي تفرعت في اتجاه وركلة والأغواط ثم سجماسة، وطريق أخرى في تخويم الصحراء إلى حدود شنقيط وتكنة في اتجاه الشمال الغربي.

وفي هذه الفترة بالذات كانت حركة القبائل المعقلية الرحل تتبع هذه الجهات في اتجاه الشمال فانقسمت إلى قسمين:

أ- قسم جموع القبائل العربية المعقلية التي تحركت عبر المناطق الساحلية لجهات غرب نهر السنغال إلى موريتانيا الحالية وبلاد شنقيط، ثم إلى شمال الأقاليم الشنقيطية حيث بلاد السوس وحوض مصب نهر درعة.

ب- الشطر الثاني هو الذي اتجه نحو الأقاليم الشمالية الوسطى عبر طريق تنبكتو- سجماسة التقليدية، مكونت هذه الجموع بشطريها "إمارات عربية معقلية متنقلة" مشكلة في إفريقيا الغربية وفي أقاليم شنقيط وما والاها ما يعرف تاريخيا بـ "مجتمع البيضان"¹⁵. هذا المجتمع الذي ورث منطقة نفوذ الدولة المرابطية التي ولدت في أحضان هذه المنطقة وخرجت من رحمها الإمارات الصنهاجية الوسيطية، فكانت الإمارات التي ظهرت في القرن التاسع وحتى العاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ذوات أهمية محلية كبرى كونت علاقاتها القبلية عنصر الإرشاد والتوجيه والتحكم في الطرق البرية الصحراوية التجارية المتبقية من التاريخ الوسيط الإفريقي، والتي أصبحت بدورها دويلات قبلية أميرية محلية ببعدها القبلي، امتزجت فيها القبلية الصحراوية الممتدة في تجمعات الطوارق بعد ذلك¹⁶.

أصبحت الظاهرة العربية في هذه الإمارات هي القوة البارزة في تجمعاتها، ومن ذلك ما كان له حضور في كتب التاريخ الإفريقية ونفوذ في الحياة

الاجتماعية الصحراوية، ونمثل لذلك بإمارة المغافرة وإمارة الترارزة وما شاكل ذلك من العناصر التي كانت حياتها تمتد في الترحال والتنقل في المجال الصحراوي بالجمال وما تيسر لها من أنواع الماشية الأخرى. هذا الوسط الاجتماعي التاريخي حاول مولاي علي الشريف العمل بجهود كبرى على إلحاق طريق تنبكتو- سجلماسة بتافيلالت، ولم يحاول إطلاقا حسب كتب الأنساب وحسبما تيسر لنا من مراجع، الاتصال بأجنحة قبائل الصحراء في الواجهة المحيطية المغربية حيث إقليم السوس الذي احتكرته القبائل المعقلية الأخرى والتي أصبحت تعرف بعد ذلك بالقبائل السوسية العربية التي امتد انتشارها على الشاطئ المحيطي من الشاطئ المحاذي لبلاد شنقيط إلى حوض نهر درعة وواد سوس، فكانت قبائل عربية معقلية من الأهمية بمكان، تحولت في حياتها الاجتماعية من قبائل رحل رعاة تهتم برعي الماعز في الأغلب ورعي الجمال إلى قبائل عربية معقلية تنزع إلى الاستقرار وتحديد مجال الاستيطان والبقاء، فهي أكثر استقرارا في الأقاليم التي هاجرت إليها من القسم الآخر الذي تكونه القبائل المعقلية التي انتشرت في الجنوب الشرقي الممتد عبر الطريق الوسطى لإفريقيا جنوب الصحراء والتي كانت تميل إلى الانتشار في جهات سجلماسة ويمتد نفوذها ومجال تحركها إلى تلمسان وما والاها غربا.

يضاف إلى ذلك جناح آخر من أجنحة التحرك المعقلي وانتقال قبائل الجنوب الغربي إلى الشمال، هذا الجناح هو الذي سيصبح قوة بشرية تعتمده الأسرة السعدية الناشئة في إقليم السوس وأحواض أنهاره باعتبار أن هذه الجهات السوسية كانت منشأ لتجمعات قبلية ذات مترع روعي وبرزت وبرزت معها زوايا في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد ترتبط بالاتجاه الصوفي الجزولي الذي أعطاه قوة روحية عما كان قبل في المنطقة، وبذلك صارت الجزولية بارتباطها بمشيخة ورئاسة محمد بن سليمان الجزولي كيانا قياديا في المنطقة، وعند التحرك القبلي من الجنوب إلى الشمال ازداد الكيان الديني والتجمع البشري قوة تبعث على الامتداد إلى الشمال، وهو ما امتد امتدادا واسعا في محورين: المحور الأساسي من وادي درعة إلى الشمال الغربي عبر الشواطئ الشمالية في أحواض نهر سوس وحوض نهر تانسيفت في الشمال ثم حوض أم الربيع، والمحور الآخر الرابط بين سجلماسة ووركلة. هكذا يظهر الارتباط المعقلي الغربي بالسواحل المغربية على المحيط الأطلسي، وهذا التوجه، دفع حركة المعقلية في جناحها الثاني الممتد من

جهات تلمسان إلى فاس وسجلماسة، ثم يمتد جناح كبير منه في الأقاليم الوسطى إلى سجلماسة ثم فاس، أي التحرك المعقلي في هذه الجهات اتخذ محورين: تلمسان- فاس- سجلماسة ثم محور إقليم توات- إقليم أدرار وتيكوراي- سجلماسة، بمعنى أن الانتشار والسيطرة المعقلية اتخذت بعدين وقوتين بشريتين كبيرتين:

أ- القوة القبلية المعقلية السوسية على الشواطئ الجنوبية الغربية وتوجهت نحو وادي درعة وتكونت منها الدولة السعدية بقيادة الحركة الصوفية الجزولية.

ب- القوة القبلية المعقلية التي يمكن أن ننعثها بالقوة الشمالية المهاجرة من الجهات الوسطى إلى الجهات الشمالية التي تربط بالمدن والمحور التقليدي القديمة مثل تلمسان، وفاس وسجلماسة وما والاها. وكان أبرز قبائل هذه المنطقة: الشبانات، وبني حسن، وذوي منصور، وذوي بني عبد الله، وذوي منيع، وأولاد جرير والأحلاف. هذا الوضع القبلي الذي انفجر بانتشاراته في المناطق الجنوبية أصبح يتحكم في عنصرين اقتصاديين هامين هما: عنصر طرق التجارة في الصحراء الإفريقية وعنصر طريق الحجيج السجلماسي والشنقيطي.¹⁷

ثالثا: أزمة الحكم والنظام السياسي المغربي من أواخر بني مرين إلى نهاية بني وطاس وقيام السعديين (763-916هـ) / (1361-1510م):

على امتداد هذه المرحلة التي عاصرت أواخر الدولة المرينية في تاريخ المغرب الأقصى وعهد حكم سلاطين بني وطاس إلى بداية عهد الدولة السعدية مع محمد بن عبد الرحمن القائم بأمر الله المتوفي عام 1517م، كان الوضع السياسي في المغرب قلقلًا جدًا ومتأزما تأزما شديداً ويتطلب إنقاذاً للمأساة السائدة فيه، حيث برزت في العهد المريني مسألة تولية الحكم في الدولة وإلى من تسند ومن يتولاها تولية شرعية عرفية واجتماعية¹⁸، فكانت الدولة تتأرجح بين يدي رجال لهم نفوذ في البلاد ولهم سلطة في إسناد الأمر إلى من تشخص أبصاره إلى التسلط عليه. فكانت الدولة دولة متسلطين وزعماء القبائل، وتوقفت عجلة سير البلاد واضطربت أحوال المجتمع وانشطرت الدولة إلى زعامات قبلية وانعدم الأمن وفسدت السابلة وانتشر قطاع الطرق وظهرت في مجموع المغرب ما يعرف في النظام القبلي بـ"ظاهرة الزطاطة"¹⁹. وهذه الظاهرة عبرت عن دخول المجتمع المغربي في ظرف انقسامى بالمعنى الأنثربولوجي²⁰.

كان هذا الوضع ملزما من الناحية الاجتماعية بخلق أحلاف قبلية متعاطفة فيما بينها ومتميزة، فأهل الجهات الشرقية يكونون في منطقة أنكاد وما والاها في اتجاه الجنوب إقليما سلاليا يتكلم لهجة أهل المغرب الشرقي ويكون نماذج من التفاعل والتنميط الإنتاجي للمواد الصناعية المرتبطة بماشيتهم وأنعامهم وأغنامهم والتي أدت إلى تكوين "ثقافة اجتماعية حضارية لغوية" تمثل أهل الشرق المغربي الرحل في العصور التاريخية التي طبعت الواقع ابتداء من منتصف القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد.

فأين كان مولاي علي الشريف في زحمة هذه الأحداث؟ وما هو دوره؟ يتضح الجواب على هذا السؤال المحوري بالنسبة للبحث الذي نقوم به في تاريخ مولاي علي الشريف، ونحن نركز على شخصية "عمود الأسرة" في هذا القرن المحدد زمنيا وهو مولاي علي الشريف بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل المتوفي على أرجح الأقوال والروايات سنة 847هـ / 1443م²¹، وقد تزامن ميلاد مولاي علي الشريف مع ظهور محاولات محلية لقيام إمارات مستقلة في سجلماسة كما هو الشأن مع سلطة عبد الحليم بن أبي علي عمر على المدينة وفي هذا كلام طويل.²²

يتضح من هذا كله أن مولاي علي الشريف عاصر الأزمة التاريخية الكبرى للدولة المغربية على مستوى المغرب الأقصى خصوصا وعلى مستوى المؤثرات الخارجية المحيطة بالبلاد مثل ما كان سائدا من أحداث في الغرب الإسلامي بالأندلس وما كان قائما في مناطق الصحراء الكبرى الإفريقية، وفي الامتدادات الشرقية لطريق الحج والحجيج التي كانت تربط بلاد الغرب الإسلامي بوادي النيل ومصر شرقا في اتجاه الطريق التاريخي الجغرافي الرابط بين مصر وبلاد الحجاز عبر "السويس" والبحر الأحمر وهذه الطريق الرابطة لهذه الجهات مع المدينة المنورة ومكة المكرمة أي بلاد الحجاز والحرمين الشريفين اللذين كانت تقصدهما ركاب أهل المغرب وإفريقيا لأداء شعائر ومناسك الحج والتبرك بمهد الإسلام وموقع ميلاد الدولة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.²³

- رابعا: بداية ميلاد جيوش المتطوعين للجهاد:

إن مولاي علي الشريف في هذا الظرف وهو بداية القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد عمل جهده في الاتصال بقبائل المنطقة التي ارتبطت به في تافيلالت وفي المغرب الشرقي عموما وكذلك في المناطق الأخرى

الجنوبية الغربية في اتجاه وادي درعة وحوض نهر السوس، فقد اتصل بقبائل هذه الجهات الجنوبية الغربية ودعا إلى التواصل بين أهل سوس وأهل سجلماسة تافيلالت وأحلاف قبائل أخرى الأمازيغ لتكوين قوة جماعية تدافع عن التراب المغربي الذي هددته القوى الخارجية وهددته أيضا الاختلافات الداخلية المحلية، الشيء الذي أدى إلى بروز حركة جديدة في المجتمع وتحرك جموع أشرف حسنيين آخرين في منطقة السوس وخاصة منطقة تارودانت وما والاها في الجنوب الغربي، حيث كانت تتحرك في هذه الجهات قبائل عربية معقلية مترحلة بقضها وقضيضها، بشعارها وأوبارها، من الجنوب إلى الشمال مكونة وحدة قبلية سوسية.

هذه الوحدة وهذه الحركة هي التي أطرتها ودعمتها جموع الأشرف الحسنيين الزيدانيين الذين يتهيئون لإنشاء "سلطة" سياسية ودينية برعاية المولى محمد بن عبد الرحمن القائم بأمر الله المتوفي سنة 1517م. هؤلاء هم "السعديون الزيدانيون" الذين تبناوا الدعوة الدينية والحركة الصوفية لمحمد بن سليمان الجزولي المتوفي سنة 870هـ/1465م التي وافقت نهاية الأسرة المرينية بمقتل آخر سلاطين بني مرين عبد الحق بن أبي سعيد.

وهكذا كان مولاي علي الشريف معاصرا لتحركات سياسية دينية منطلقة من الجنوب المغربي محققة انقلابا سياسيا وثقافيا واجتماعيا في مغرب القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وهو "نقل السلطة السياسية من الأسر الأمازيغية إلى الأسر العربية الشريفة الحسنية": الزيدانية السعدية في سوس وحوض وادي درعة والأشرف الحسنيون السجلماسيون في سجلماسة وإقليمها.

ولعل الظروف التاريخية المحيطة بالمرحلة والمؤطرة لها هي التي دفعت إلى تحقيق هذا التغيير الكبير وإعطاء زمام الأمور للأسر الشريفة الحسنية: الزيدانيون في سوس والقاسميون الحسنيون في سجلماسة أي أبناء الحسن الداخل بن القاسم.

فكانت سوس وتاكمدارت ودرعة مرجعية المكان السعدي وسجلماسة وتافيلالت مرجعية المكان الحسني السجلماسي العلوي.

وننطلق من هذا الواقع إلى داخل التراب المغربي، حيث نجد أن مولاي علي الشريف قد اتجه في دفعاته وحركاته من تافيلالت إلى شمال المغرب عبر الطريق التجاري المعروف سجلماسة- فاس متخذا محطات الاستراحة للاستقرار، فقد برزت في الوثائق والنصوص المشهورة المترجمة لمولاي

علي الشريف محطة "جرسلوين" قرب وادي كبر الذي يعتبر أحد روافد وادي زيز بمحاذاة قصبة الريش حاليا، ومحطة التزالة والقصابي على وادي ملوية الوسطى ثم بعد عبور نهر ملوية في اتجاه الطريق المؤدية من القصابي إلى ميسور ووطات الحاج، ثم نواحي تازة وإقليمها إلى فاس أو من ميسور إلى منطقة سكورة وصفرو إلى فاس. هكذا اتخذ مولاي علي الشريف المنطقة الوسطى من المغرب مجالا لتحركه وبسط نفوذه والاعتراف به كشريف زعيم لحركة روحية سياسية ذات بعد له أهميته الكبرى وهو أنه من الأشراف القرشيين الذين تتوفر فيهم شروط القيادة والزعامة والإمامة الشرعية، يسمع له الأتباع ويطيعون أوامره²⁴، فكانت المرحلة الصعبة التي عاصرها في تاريخ بني مرين الأخيرة وهي ما بين 810هـ/1407م- و847هـ/1443م تحمله على تهيئة الجوع وتجبيش القبائل في هذه المنطقة للدفاع عن الأقاليم المغربية في الشمال عبر الجهات المؤدية للأندلس التي استحر فيها القتل واستفحل تدخل القوة الإيبيرية النصرانية وفي شمال المغرب خصوصا بعد سقوط سبتة بيد البرتغاليين سنة 818هـ/1415م. فنتج عن هذا كله أن مولاي علي الشريف اقتصر نشاطه على رئاسة جموع المجاهدين الذين كان هدفهم حماية الأقاليم التي لا تزال تحت سلطة المسلمين بالأندلس، وكان فلك سعادته هو تأليف قوة شعبية تستنصر به وتستصرح بمبادئه وأصول دعوته الجهادية، وقد بسطها أحد فقهاء حفدته من بعد وفاة مولاي علي الشريف²⁵ وفصلها تفصيلا المؤرخ المتخصص في الأسرة العلوية في عصورها الأولى المؤرخ ابن دفين طيبة²⁶. وكان لهذا الدور الذي قام به مولاي علي الشريف سند قوي مبني على قوة زعامة الشريف السجلماسي واستصراخه للمجاهدين الذين يقطع بهم البحر الأبيض المتوسط عبر جبل طارق تحت حماية ما تبقى من أسطول المسلمين المرينيين والحفصيين.

وقد اعتمد مولاي علي الشريف على موافقة السلطان المريني الذي بارك جهوده ولكن قوة الأسطول الاسباني كانت أعتى من الاندفاع العاطفي الديني عند المسلمين المجاهدين الذين لا يملكون إلا إيمانهم بنصرة المسلمين ووجوب الحماية التي تولى رياستها الشريف الحسن السجلماسي مولاي علي الشريف. فكان يعمل على جمع الجموع وحمل الرجال على الانتقال إلى الأندلس. والملاحظ في هذه الحركة أنه لم يكتف بتجبيش قبائل الشمال وأهل الأندلس، وإنما استدعى واستصرخ قبائل أهل السوس: "...كتب إليه أهل غرناطة يشكون إليه أمر الطاغية، فأرسل لأهل السوس الأدنى والأقصى وقبائل

سجلماسة يأمرهم بالجهاد وأن يكون الاجتماع بشجر طنجة، فلما اجتمعوا بها قطعوا للجزيرة..."²⁷ وكانوا في خليط من الأمازيغ والعرب المعاقلة المستقدمين من الصحراء المغربية. ظهر من ذلك كله تقسيم خريطة نفوذ الأسرتين الشريفتين في الجنوب المغربي:

-المناطق الوسطى انطلاقاً من سجلماسة- تافيلالت كانت لمولاي علي الشريف وأبنائه، وهذا لم يتحقق عملياً إلا في القرن اللاحق أي ابتداءً من أواسط القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد، في حين تحقق للشرفاء الزيدانيين السعديين في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر للميلاد.

-أما المناطق الجنوبية الغربية، فقد اختصت بها الحركة السعدية السوسية التكمدارتية، وقد التفت حولها قبائل الجنوب الغربي من المغرب بمجتمعها "البيضاني" وقبائلها الصنهاجية والمصمودية السوسية²⁸.

وقد تخلد دور مولاي علي الشريف الجهادي في مصادر تاريخ المغرب، وكان من بين ذلك ما سجلته المراسلات التي كانت تحته على النهوض لقيادة المجاهدين في المناطق المستهدفة من دار الإسلام بالأندلس والمغرب، ومن أبرز النصوص التي سجلت لهذا الحدث تلك المراسلات التي وجهت إليه من علماء ومجاهدي المغرب والأندلس، ويكفي أن نشير إلى الديباجة التي حُليت بها تلك المراسلات، قال اليفرنى رحمه الله: قد وقفت على رسائل بعث بها إليه علماء غرناطة يحضونه على الجواز إليهم واستنفار المجاهدين، إلى حماية بيضتهم ويذكرون له أن كافة أهل غرناطة من علمائها وصلحائها ورؤسائها قد وظفوا على أنفسهم من خالص أموالهم دون توظيف سلطان عليهم أموالاً كثيرة برسم الغزاة الذين يردون معه من المغرب. وحلوه في بعض تلك الرسائل بما نصه: "إلى الهمام الضرغام، قطب دائرة فرسان الإسلام، الشجاع المقدام، الهصور الفاتك، الوقور الناسك، طليعة جيش الجهاد، وعين أعيان الأنجاد، المؤيد بالفتح في هذه البلاد، المسارع على مرضاة رب العباد، مولانا أبي الحسن علي الشريف"²⁹. وفي ذلك يقول ابن دفين طيبة: "وجاءته هدايا من أهل الأندلس وأرسال رافعين إليه الشكاية من الطاغية، عدو الله أدفونش ومن أيده من أحلاف العرب"³⁰. بناءً على ذلك وسع مولاي علي الشريف نطاق دعوته إلى الجهاد لتشمل قبائل السوس وقبائل العرب يرغبهم بالنجدة والجهاد، "فلما أحس باجتماعهم ركب مع سيدي محمد بن أبي إبراهيم

(الهاللي) فوجد بطنجة قوما لا تعد ولا تحصى والسفن تنتظرهم، فدخل الجزيرة وهزم عدو الله أدفونش ومن معه وأخذ أموالهم وسبائهم³¹. ونلاحظ أن المصادر لم تشر إلى تاريخ مضبوط ومحدد لتوقيت هذه المعركة التي قام بها وقادها مولاي علي الشريف في عبوره من المغرب إلى الأندلس، كما أننا لم نتمكن من تحديد هذا التاريخ في المصادر الإسبانية والقشتالية³². ولعله يتحدد بالفترة الممتدة بين 823هـ و835هـ/1420م-1439م على أساس أن انتقاله للجهاد لم يكن في فترة متواصلة واحدة وإنما كان رسم جهاده في الأندلس مبنيا على اعتبار انتقاله من سنة إلى أخرى كلما توفر له المجاهدون المتجيشون في المغرب والمستعدون للتطوع للانتقال إلى الأندلس. وكانت في هذا الصدد مدينة بسطة الأندلسية هي مركز قيادته وتنظيم جموعه للجهاد في الأندلس بناء على ما تشير إليه النصوص المذكورة في المصادر³³. وقد حاول صاحب الاستقصا أن يرجع وقوع هذه الأحداث التي استهدفت جيش مولاي علي الشريف والمتطوعين من باقي المغرب، حاول أن يورخ لهذه الواقعة التي عاصرها مولاي علي الشريف وتزعّم قيادة جيوشها أن تكون مرتبطة بأحداث سبتة والعمل على استرجاعها بعد أن سقطت بيد البرتغاليين، والنص الذي يحدده الناصري، هو قوله: "وأظن أن وقعة طنجة المشار إليها في هذه القصيدة هي وقعة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة³⁴ (841هـ/1437م)".

- خامسا: جهود مولاي علي الشريف في الصحراء الإفريقية الكبرى وتأمين طريق الحجج³⁵.

من أهم جهود وأعمال مولاي علي الشريف التي تحسب عملا قويا في حياته التي قضاها خلال النصف الأول من القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد هو محاولته التي أراد بها العمل على إعادة النشاط الرئيسي الذي كانت تقوم به طريق سجلماسة في الصحراء الإفريقية وكذلك في الطريق الرابطة بين سجلماسة والجهات الشرقية نحو مصر وواد النيل والحجاز، فقد ضعفت هذه الطريق عندما بدأ اكتشاف طريق البحر على المحيط الأطلسي، واستشعر مولاي علي الشريف ضعف هذا الطريق خلال الكشف الجغرافية التي كانت تقوم بها الدول البحرية في الشمال، ولهذا عمل على تكوين مجموعة بشرية تساعده على إحياء هذا الطريق وتخوض به رمال الصحراء التي كانت تصل به بين سجلماسة وبلاد السودان، واستطاع أن يقوم بإحياء هذا الطريق

الصحراوي ويجعله مكونا من وجهتين عبر سجلماصة- توات- تيكورارين وورغلة. ثم تتجه هذه الطريق نحو الجنوب الشرقي إلى أن تصل إلى أكزز ومنها إلى فزان ثم شمال مالي حيث كانت مملكة مالي تسيطر على هذه الجهات الشرقية في اتجاه "كانم- برنو" إلى أن تصل إلى وادي النيل حيث تتفرع إلى قسمين: فرع يتجه إلى الجنوب الشرقي وفرع آخر يسير إلى بلاد النوبة ويتجه إلى شمال مصر ودلتا واد النيل. وتلتقي هذه الطريق مع الطريق الآخر الساحلي الآتي من الجهات الشمالية ثم يمر عبر شمال الصحراء إلى أن يصل إلى طرابلس ثم يعبر برقة وشمال ليبيا والجبل الأخضر ثم الإسكندرية إلى أن يصل إلى مناطق العبور إلى الطريق المصري جنوب سيناء ثم طريق مصر- الحجاز.

هذه الطريق عمل فيها مولاي علي الشريف بجهوده الكبرى على إحيائها وإعادة تنظيمها، ولكن المصادر التاريخية المعاصرة له لم تشر إلا إلى أعماله التي كانت على هذا الطريق الصحراوي بين سجلماصة وأكزز. وقد أشار إلى ذلك النسابون ومن أهمهم ما سجله واحتفظ به لنا في ترجمة مولاي علي الشريف كل من صاحب الأنوار الحسنية والفضيلي صاحب الدرر البهية والزكي العلوي في مطالع الزهراء، ونقتبس النص الجميل الذي تذكره جميع كتب الأنساب وتدون بذلك حياة مولاي علي الشريف تدوينا يكاد يجعل شخصيته شخصية أسطورية، ولكننا نحتفظ به لكونه يعطي لعلاقة سجلماصة والجنوب الصحراوي المغربي قوة بارزة تربط بين تافيلالت والجهات الصحراوية المغربية التي كانت طرق القوافل تعبرها قبل مولاي علي الشريف، يقول صاحب مطالع الزهراء: "وحكي عنه رضي الله عنه أنه دخل بلاد السودان برسم الجهاد وفتح الله على يديه كثيرا من المدن هناك منها مدينة أكذج، بكاف معقودة، وهي مدينة عظيمة من مدن السودان"³⁶، وليس لها إلا باب واحد، مدورة بحفير وعليه قنطرة من حديد يمرون عليها للمدينة بلا طريق، وكذلك إذا جن الليل، فلما حاصرها مولانا علي الشريف مع جيشه رفعوا تلك القنطرة وبقيت المدينة بلا طريق، فأجهز رضي الله عنه على فرسه، فقطع الحفير، فلما رأوا منه ذلك رموه بصخرة عظيمة من حديد صادفت الفرس وسلمه الله هو بدرقته، فتساقط عليه أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، فأخذ المدينة عنوة..."³⁷.

وبذلك انفتح أمام مولاي علي الشريف الطريق نحو كانم- برنو وبلاد النوبة على وادي النيل، وتهدمت الطريق الشرقية الصحراوية إلى الحج. ويعني ذلك

في مجموعه أنه تحرك من تافيلالت بجيشه من المتطوعة للجهاد في إفريقيا جنوب الصحراء، وقد تمكن من تمهيد هذه الجهات وأعاد العلاقة التجارية بين سجماسة وإفريقيا جنوب الصحراء مما هيا له تحقيق هدفين كبيرين: أولهما هو إحياء طريق الحج الجنوبي واعتمد رعاية أهل إفريقيا في هذا الطريق، فكان ركب الحجيج السجماسي الذي ينتقل عبر هذا الطريق الجنوبي خاضعا لإمارة مولاي علي الشريف، وقد استفاد منه استفادة كبيرة مكنته من توفير رصيد مالي جعله يقدم على "سك عملته" ³⁸ ولم تذكرها كتب التاريخ بتفصيل كامل وإنما أشارت كتب الأنساب إلى ذلك باختصار شديد بما يفيد أنه كان ذا نفوذ مالي وقوة اقتصادية عبر بها إفريقيا واتجه إلى أداء فريضة الحج مادام على علاقة قوية بإفريقيا جنوب الصحراء، وتفيدنا هذه الإقامة التي أقامها بالصحراء الإفريقية ما هيا له مكانة مالية وجماعة بشرية تطوعية جعلته ينتقل إلى أداء فريضة الحج مرارا ويشرف على "ركب الحجيج السجماسي" أحي به ما اندرس منذ المرحلة الأولى من تاريخ ركب الحجيج التي كانت أساسا لاستقدام الحسن الداخل الجد الأعلى لمولاي علي الشريف، وأعطاه قوة مالية وبشرية كونها من تحركاته وما جمع معه من أتباع كان يجاهد بهم ويشرف عليهم أيضا رفيقه حفيد إبراهيم الهلالي العمري، فقد برز كل من مولاي علي الشريف والهلالي في هذه الأصقاع الإفريقية وتمكن من توفير رصيد ذهبي وفضي ومن الاحتفاظ بقسط كبير من الذهب والفضة بالإضافة إلى الخدم والأتباع.

الهوامش:

- 1- الزكي العلوي، مطالع الزهراء، ص. 205.
- 2- ابن خلدون، العبر، ج7، ص. 323.
- 3- الذي يعتمد في المصادر أن بداية تدهور مدينة سجماسة وتخريبها كان حوالي سنة 764هـ/1363م واستمرت الضربات تتلاحق في المدينة، فمنها حصار ملوك بني مرين لسجماسة المدينة وضربها بالسلاح الناري في كل من 772 و 783 و 785هـ إلى أن هجرها سكانها وانتقلوا إلى خارج أسوار المدينة القديمة ينشئون المداشر والقصور في حوض نهري زيز وغريس وولد إيفلي وبذلك انتهت المدينة التاريخية المسورة سجماسة وأصبحت قصورا يمكن أن نطلق عليها من هذا التاريخ اسم "تافيلالت"، وبذلك بدأ نمط جديد في عمران المدينة.
- 4- Gdinho M ، L'économie de l'empire portugais aux XV et XVI siècles ، Paris ، Sevpen ، p106. Villar P ، Or et Monnaie dans l'histoire ، Paris ، Flammarion ، 1974 ، pp44-45. Meunié DJ. ، le Maroc Saharien des origines à 1670 ، Paris ، p213.
- 5- حسن علوي حافظي، سجماسة وإقليمها، ص. 440.
- 6- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص. 126.
- 7- حسن علوي حافظي، سجماسة وإقليمها، ص. 440.
- 8- تنتطق عند أهل فاس "كزام ابن عامر" وهو أحد الأزقة المشهورة بعدوة القرويين القريب حاليا من زاوية سيدي عبد القادر الفاسي بالقلليين وبيتئى من عقبة الفيران إلى الممر الموصل إلى رحبة التبن، ولا يزال يعرف حاليا بذلك.
- 9- حكى لنا الأستاذ العميد عبد الوهاب التازي، أن سر ملكية هذه الدار يعتبر من الرسوم العدلية التي تعاقبت فيها ملكية شراء هذه الدار المباركة، ويغلب على الظن أن هذا الرسم محفوظ بنظارة أحباس القرويين بفاس.
- 10- Rosenberg B. ، Tamdult ، pp137. Rosenberger ، Exploitation minière ، 2ème partie ، p92. Dévisse. « Routes de commerce et échanges en afrique occidentale en relation avec la Méditerranée. Un essai sur le commerce africain médiéval du Xle au XVle siècle » Journal de la Société des africanistes ، Année 1973 ، Volume 43 ، Numéro 2 ، pp.271-272.
- 11- ف. هايد- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994. (في أربعة أجزاء).
- 12- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، الترجمة العربية، ابن بطوطة، تحفة النظر. مع ملاحظة أن ابن بطوطة كان متقما على هذه المرحلة بقليل.
- 13- الزكي العلوي، مطالع الزهراء، وانظر تفصيل ذلك في ترجمته لمولاي علي الشريف الفضيلي، الدرر البهية، ج1، ترجمة مولاي علي الشريف.
- 14- وهو نص مهم في تاريخ هذه الفترة يفك مجموعة من الطلاسم في علاقات شرق إفريقيا بغربها، وقد أفادنا به الأستاذ المحترم رئيس جامعة الخرطوم سابقا يوسف فضل أمده في عمره.
- 15- محموج بن محمذن، المجتمع البيضاوي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2001، صص 238، 199.
- 16- UNESCO ، histoire générale de l'afrique ، T4 ، édition 2004.
- 17- انظر: ف. هايد- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994. (في أربعة أجزاء). أمين مصطفى عفيفي، أحمد عزت عبد الكريم،

تاريخ أوروبا الاقتصادي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1954، ص99، 159. وراجع تفاصيل الطرق التجارية البحرية في الكتاب نفسه، ص193. عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، صص12، 5.

أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا، القسم الخاص ببني وطاس وبداية السعديين.

- Rosenberg، Le Maroc au XVI siècle، p44. Jacques Meunié، Le Maroc Saharien، T2، pp571، 573. Terrasse، Histoire du Maroc، pp116، 162.

18- لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويق قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، القيم الثاني، تحقق ليفي! بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956، صص7، 57. لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط- القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء 1964م، صص14، 80. ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام فيمن بويق قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، صص25-346.

19- ظاهرة الزطاطة هي تحمل أمن الانتقال من قبيلة إلى أخرى أو من جهة إلى أخرى بإعطاء مقابل مالي داخل في الاتفاق بين القبائل المغربية ليسلم إلى القبيلة التي تقوم هي بدورها بتأمين الطريق إلى أن يصل من يتحمل تأمينه ويضمن إبلاغه إلى الجهة التي يقصدها على أن يؤدي في كل قبيلة مقابل تأمينه في الطريق. وقد سادت سلطة القبيلة والتزمت وضمنت سلامة المزططين من نهب اللصوص أو الاعتداء على من يتم التحمل يهم إلى المكان المقصود. وقد درس هذا النظام الأستاذ عبد الأحد السبتي دراسة جيدة في عمله الأكاديمي، بين الزطاط وقاطع الطريق، أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2009.

20- تقبل هذه المرحلة وما بعدها لاحقا من تاريخ المغرب بروز تعاطي السلطة لمجتمع القرابة Segmentarisme.

21- العربي بن عبد السلام ابن دفين طيبة، الجوهر الشفاف في ذكر من سجلماصة من الذرية الأشراف/ مخطوط جامعة أكسفورد، رقم1، ص25. الزكي العلوي، مطالع الزهراء، و214. المقري، كنز الأسرار في ذرية النبي المختار، مخطوط خاص. مولاي علي بن المصطفى، فتح القنوس في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني/ مخطوط خاص. وفي ذلك يقول الفضيلي، الدرر البهية، ج1، ص139. "فصل في وفاة مولاي علي الشريف:.. فكان ذات يوم بزاولته بتغمرت، وحوله جمع من الطلبة والفقراء، وإذ سمعوه يقول أين جبريل وميكائيل فقد وعدني ربي أن لا يقبض روحي حتى يحضران معك، ثم التفت للحاضرين وقال لهم إني راحل عنكم فهذا آخر عهدي بكم، فلم تلبث أن صعدت روحه الكريمة وهو في محله، فرضي الله عنه وأرضاه، ونفعا به، وذلك سنة وأربعين وثمانمائة، وعمره خمس وثمانون سنة، وعليه فتكون ولادته سنة اثنين وستين وسبعمائة، والله أعلم".

22- ابن خلدون، العبر، صص422-423.

23- انظر محمد المنوني، ركب الحجيج السجلماصي، طبعة تطوان، 1953.

24- نسجل أن مولاي علي الشريف لم يدع دعوة تجعله إماما صوفيا وشيخا داعيا إلى طريقة تفرد به بالإمامة والزعامة، وإنما كان في مجموع حياته وحركاته رجلا سنيا موحدا لأصول دينه على الأساس الأشعري والأساس المالكي في المذهب الاجتماعي وعلى أساس التصوف السني للجنيذ السالك وهي الشهادة التي ورثها الخلف عن السلف سواء في المنبع الذي كانوا مقيمين به ينبع النخيل بالحجاز أو في المغرب وسجلماصة منذ أن مولاي علي الشريف يتحرك من أجل ذلك. وهكذا تكون زاوية مولاي علي الشريف بتايفيلالت مركزا لهذه "الحركة الشريفة" تبنها أبناؤه وخلفاؤه من بعده ودافع عليها أتباعه ومن والاها وانضم إليه في وادي إقلي وحوض وادي غريس وزيز.

25- انظر كتاب عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني، فلك السعادة في فضل الجهاد والشهادة، مخطوط الخزانة الحسنية والمكتبة الوطنية.

26- ابن دفين طيبة، الجوهر الشفاف، صص24-25، حيث أورد نصا مهما، استصراخ أهل الأندلس بمولاي علي الشريف ضد الإسبان: "وجاءته هدايا من أهل الأندلس وأرسال رافعين إليه الشكاية من الطاغية عدو الله

- أدفونش ومن أبيه من أحلاف العرب، فكتب رضي الله عنه لأهل سوس الأدنى والأقصى وقيائل أهل الغرب يأمرهم بالجهاد ويرغيهم في تحصيل ثواب الله عز وجل وواعدهم طنجة..."
- 27- الزكي العلوي، مطالع الزهراء، و212-213. أحمد بن عبد العزيز العلوي، الأنوار الحسنية، ص. ابن دفين طيبة، الجوهر الشفاف، ص.
- 28- انظر خريطة القبائل المغربية، Jacques Meunié، la Maroc saharien
- 29- اليفرنى، نزهة الحادي، عبد العزيز العلوي، الأنوار الحسنية. ابن دفين طيبة، الجوهر الشفاف، ص.24. الناصري، الاستقصا، ج6، ص.19
- 30- ابن دفين طيبة، الجوهر الشفاف، ص.24
- 31- نفس المصدر والصفحة.
- 32- Charles-Emmanuel Dufourcq، L'Ibérie chrétienne et le Maghreb، XIIe-XVe siècles، Collection : Collected studies 328، Royaume-Uni، 1990، p45.
- 33- راجع ديوان ابن عبد الكريم القيسي.
- 34- الناصري، الاستقصا، ج4، ص295+ج6، ص.20
- 35- لعل بحث الأستاذ حميد الفاتحي سيتناول هذه النقطة بالتفصيل، لذلك سنمر عليها مسرعين.
- 36- تقع شمال النيجر بالصحراء الإفريقية الكبرى، وقد أنشئ مركز بهذا الاسم "أكنز" في بداية واحة درعة، وعمرته عناصر بشرية استقدمت من إفريقية السوداء ومن جهات مالي، وحول هذا المركز في المغرب إلى محطة لعبور القوافل المارة على حوض وادي درعة. وقد دخل سكان أكنز المستقدمون في خدمة الدولة السعدية وبعد ذلك الدولة العلوية، وصار هذا المركز يقوم بدور الرقابة ومساعدة من يعبر واحة تينزولين إلى لكتاوة وزاكورة في اتجاه الطريق المؤدية إلى الزاوية الناصرية.
- 37- الزكي العلوي، مطالع الزهراء، و.204
- 38- ورد ذكر ضرب العملة الذي قام به مولاي علي الشريف في كتب الأنساب ورغم المحاولات التي قمنا بها في البحث عن هذه العملة وشكلها وصورتها، فإننا لم نعثر عليها في مصادر تاريخ النقود والعملات التي جمعها الباحثون الغربيون في إفريقيا الغربية وحتى المغرب الأقصى، فالعملة التي ذكرت في المؤلفات الجامعة لأشكال العملة وصورها ودراستها والتي توجد بالخزانة التاريخية للعملة المغربية في بنك المغرب في الرباط، وعليه سنحتفظ بما جاء في كتب الأنساب، فهي التي تذكر ضرب العملة لمولاي علي الشريف وظروف الحملة التي قام بها في غرب إفريقيا وفي تسيير ركب الحجيج من سجماسة إلى الديار المقدسة، كل ذلك مؤشر على صحة ما ذكرته كتب الأنساب المهمة بترجمة مولاي علي الشريف في القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي.